# النهضات القومية العامة

## فى أوروبا وفى الشرق

للأستاذ عبد الرزاق أحمد السنهورى

عميد كلية الحقوق ببغداد

## بقية المحاضرة الثانية

**طرقها فى التنظيم :**

وللفاشية طرق للتنظيم . والحكومة الفاشية تتألف من الملك والمجلس الأعلى والوزراء ومجلس الشيوخ ومجلس النواب والمجلس الوطنى للنقابات . ومن وراء هذا الحزب الفاشى على درجة عليا من التنظيم ، وهو القيم على الحكومة الفاشية كما أن الحزب الشيوعى هو القيم على الحكومة البلشفية . ومن وراء هذا وذاك الزعيم . وهو رئيس الحزب الفاشى ، ورئيس المجلس الأعلى ، ورئيس الوزراء ، ورئيس المجلس الوطنى للنقابات . وفى يده تتركز كل السلطات

والجديد فى هذا التنظيم أمران :

الأمر الأول هو أن أعضاء مجلس الشيوخ والنواب لا يأتون بطريق الانتخاب كما فى الدول الديمقراطية ، بل يأتون بطريق التعيين . فأعضاء مجلس الشيوخ يعينهم الملك بناء على ترشيح الحكومة . وأعضاء مجلس النواب يعينهم المجلس الأعلى ، ويصدق على التعيين الناخبون بطريق القائمة . والناخب يصوت لا كفرد سياسى ، بل كشخص اقتصادى ، فيفرق بين أصحاب الأعمال والعمال والقائمين بالأعمال الفكرية

والأمر الثانى هو أن هذه الهيئات المختلفة التى تتألف منها الحكومة الفاشية فيها هيئتان جديدتان لا نظير لهما فى الدول الديمقراطية : المجلس الأعلى والمجلس الوطنى للنقابات . أما المجلس الأعلى فهو اللجنة التنفيذية للحزب الفاشى نجح موسوليني فى إدماجها فى الحكومة الايطالية . ويتألف هذا المجلس من نحو عشرين عضواً يرأسهم الزعيم . وفيهم أعضاء معينون لمدة غير محدودة ، وأعضاء لمدة محدودة ، وأعضاء بحكم وظائفهم . ويختص هذا المجلس بالنظر فى المسائل التشريعية الكبرى ، كسن القوانين الدستورية . وهو الذى تتركز فيه السلطة التنفيذية بعد الزعيم ويعين أعضاء الهيئات التى تتألف منها الحكومة الفاشية والحزب الفاشى . أما المجلس الوطنى للنقابات فيتألف من ممثلين لأصحاب رؤوس الأموال وممثلين للعمال ويرأسه الزعيم . وهو ينقسم إلى فروع تتمشى مع النواحى المختلفة للنشاط الاقتصادى . فتمثل فيه الصناعة الكبرى ، والصناعة الصغرى ، والزراعة ، والتجارة ، والنقل ، والمصارف وغيرها . ذلك أن أصحاب رؤوس الأموال والعمال فى كل ناحية من هذه النواحى منتظمون فى نقابات متدرجة من محلية إلى إقليمية إلى مركزية إلى هذا المجلس الوطنى للنقابات ويتناول اختصاصه بنوع خاص توجيه النشاط الاقتصادى فى البلاد

ومن هذا نرى أن الفاشية ، بحكم المبادئ التى تقوم عليها ، والوسائل التى تتذرع بها فى العمل ، والطرق التى تتبعها فى التنظيم ، خصم للاشتراكية من جهة ، وللفردية من جهة أخرى ؛ فوقفها بالنسبة للفرد موقف وسط ، لا تدمجه فى الدولة كما تفعل الاشتراكية ، ولا تطلق له الحرية كما تفعل الفردية

**النازية :**

وإذ فرغنا من التحدث عن الفاشية فى إيطاليا نقول كلمة موجزة عن النازية فى المانيا . وحتى نختصر الطريق نكتفى فى الكلام على النازية بأن نقارن بينها وبين الفاشية ، فالحركتان تتفقان فى المبادئ ووسائل العمل . ذلك لأن النازية تقدس القومية ، ولكن القومية عندها لا تقوم على رابطة الوطن كما فى الفاشية ، بل تقوم على رابطة الجنس . فالجنس الجرمانى كله ، لا الأمة الألمانية وحدها ، هو الذى يجب أن يتحد . والنازية كالفاشية توفق ما بين المبادئ الاشتراكية والنزعة الوطنية ، فهى وطنية اشتراكية ذات صبغة عملية . والنازية كالفاشية لا تؤمن بالجامعات الدولية ، فهى ترى عصبة الأمم جامعة خيالية ، وتقيم حربا عواناً على البلشفية . وقد انتظم هتلر الشيئين فى خطبته التى ألقاها منذ شهر عقب الحوادث السياسية الأخيرة ، فهو يقول : « إن الأمم كانت فريسة للخيالات والأوهام عندما آمنت بعصبة الأمم ،

وإن السلام الذى كان يجب أن يكون حجراً يقفل به ضريح الحرب إلى الأبد أصبح مباءة تنمو فيها بذور ارتباكات جديدة ، وإن الثورة الشيوعية لم تقتصر على وضع طابعها على امبراطورية من أعظم الامبراطوريات فى العالم ، بل اتجهت أيضاً إلى الشعوب المجاورة . فهنالك جيوش مؤلفة من ملايين من الرجال تذهب إلى الحرب لاشعال ثورات عالميـة من أجل الشيوعية ، وتجند هذه الملايين بدعوى السعى إلى إبطال الحروب . . »

والنازية كالفاشية تجعل الحكم للأقليـة الصالحة ، ويقول هتلر فى هذا المعنى : « نريد رجالاً قليلين من الطبقة الحاكمة الجديدة ، هم الذين يؤمنون بأن لهم الحق فى أن يحكموا لتفوقهم ، ويبسطون سلطانهم دون تردد على السواد من الجماهير » . على أن هذه الأقلية الحاكمة تدين كلها بالخضوع والولاء للزعيم الأكبر

والنازية كالفاشـية فى نزعتها الاستعمارية العسكرية . فهى تذهب إلى أن العلم الحديث يولد إيماناً لا يتزعزع فى القيمة الخلقية العليا للحرب . ويقول الدكتور جوبلز : « إذا حاولت أن تقمع الحرب ، فانك تكون كمن يحاول أن يقمع حركات الطبيعة »

والنازية كالفاشية فى الظروف التى نشأت فيها . فقد قامت النازية عقب خروج ألمـانيا من الحرب مهزومة . وكان للاضطرابات التى أحدثها الاشتراكيون الألمـان ، والاضرابات التى نظموها ، أثر حاسم فى هـذه الهزيمة . وقد سام الحلفاء المنتصرون ألمانيا المهزومة فى شروط الصلح خسفا جرح كبرياءها ، وفى وسط هذه الغيوم المتلبدة سطع نجم مؤسس النازية ، بعـد أن أقام حركته لمقاومة البلشـفية ، ولانقاذ الوطن الجرمانى ، وبعثه من جديد

والنازية كالفاشـية أخيراً فى شخص الزعيم . ففى إيطاليا موسوليني القائد المحرك (Duce) ، وفى ألمانيا هتلر القائد المرشد (Führer) ، هـذا وراءه النازى فرقاً منظمة وهم ذوو القمصان السمراء ، وذاك وراءه الفاشستى أى فرق الـكفاح ، ذوو القمصان السوداء . وقد لجأ الرجلان إلى أساليب واحدة فى تنظيم معسكريهما : خضوع مطلق لسلطان الزعيم ، ونظام عسكرى دقيق ، وروح وطنية حربية ، وشبان يحتشدون بالألوف ، ويدخلون أفواجاً فى هذا الدين الجديد . وكل من الفاشـية والنازية دين ينطوى على إيمان عميق . ولهـذا الدين فرائضه ومناسكه ، تتمثل أوضاعاً ورسوما ، فمن حركات عسكرية ، إلى أعلام خفاقة ، إلى إشارات رمزية ، إلى شارات موضوعة ، إلى أناشـــيد محفوظة ، إلى لباس خاص

والرجلان قد رزقا موهبة الخطابة وقوة البيان ، والقدرة على اجتذاب شعور الجماهير . وهما إنما يبشران بدين وإيمان ، وقوة الايمان يغذيها سحر البيان . والرجلان من رجال العمـل لا من رجال الفكر ، فهما لا يترددان ولا يتمهلان ، بل يسيران قُدُماً إلى الأمام

والرجلان يتشابهان نشأة وتربيـة وقوة وسطوع نجم . نشآ فى التربة والمسـغبة ، موسوليني أبوه حداد ، وهتلر أبوه مستخدم صغير فى الجمارك النمساوية . وعاش الاثنان عيشة الـكفاف ثم هجرا بلديهما ، فذهب موسوليني إلى چنيف ، حيث اشتغل عاملاً فبناء ؛ وذهب هتلر إلى فينا ، حيث اشتغل عاملاً فرساما . وقد تربى كل منهما فى مدرسة واحدة ، هى مدرسة البؤس والشقاء ، تلك المدرسة التى كثيراً ما تنبت عظماء الرجال . فتعلما فيها صلابة العود ، وقوة العزيمة ، ومجالدة الفاقة ، ومنازلة الأخطار ، وتخرج كل منهما قوى الشكيمة شديد المراس . وأتمّا تربيتهما معاً فى مدرسة أخرى ، هى مدرسة الحرب الـكبرى ، إذ تقدم كل منهما إلى هذه الحرب ، تخاض غمارها ، واصطلى بنارها ، وعانى أهوالها ، وجرح فى معاركها ، وأبلى فيها بلاء حسـنا ، وخرج منها وقد استكمل النضوج ، واستوفى الرجولة ، وسار إلى ما هيأته له الأقدار

وأسس موسوليني أول فرقة للـكفاح (fascio di combattimento) فى ميلان سـنة ١٩١٩ من مائة وأربعين رجلاً ، وتزايدت فرق الـكفاح ، ونظمت تنظيماً عسكرياً دقيقاً ، فأمكنه أن يحشد بعد ثلاث سنوات مائتى ألف من الرجال ، استولوا على إيطاليا الوسطى وسبعين ألفاً زحفوا على روما ، وقبضوا على ناصية الحكم بالقوة . وهو الآن فى قصر فينيسيا يصرف أقدار أمة كبيرة ويحكمها حكماً دكتاتورياً . وذهب هتلر بعد الحرب إلى مونيخ ، وهناك انضم إلى حزب صغير غير معروف ، فأخذ يقويه ، وينفخ فيه من روحه حتى حشد فيـه الآلاف من الرجال . وسجن عقب إخفاقه فى

ورة أراد بها قلب الحكم فى بافاريا ، وكتب فى السجن كتابه لذى أسماه : « جهادى Mein Kampf » ولما أطلق سراحه ، جمع شتات حزبه وكان قد تفرق . وعاد إلى الجهاد ؛ ثم أخذ يستولى على مشاعر الأمة الألمانية شيئاً فشيئاً ، حتى ضمها تحت لوائه ، وأصبح الآن هو المسيطر على سبعين مليوناً من البشر من أعظم الشعوب وأرقاها ، يخضعون لاشارته ، ويدينون له بالولاء

بقى أن نقول إن الفاشية والنازية تنازلان البلشفية بنفس سلاحها . فهما كالبلشفية تحكمان حكما دكتاتورياً ، وهما كالبلشفية أيضاً تخضعان النظام السياسى للنظام الاقتصادى . والمعركة قائمة بينهما وبين البلشفية ، فأى المعسكرين يكتب له الانتصار ؟ هذا هو السر المخبوء فى عالم القدر . على أن الحوادث السياسية الأخيرة وبنوع خاص تلك المحالفة التى عقدتها فرنسا مع روسيا البلشفية والتى أثارت سخط خصوم البلشفية حتى بين الفرنسيين أنفسهم ، قد تعجل بالمعركة الفاصلة ، وقد تفرق أوروبا من جديد فى بحار من الدماء

على أنه سواء تغلبت البلشفية فى المعركة القادمة ، أو انتصرت الفاشية والنازية ، فالواقع من الأمر أن كلا الخصمين مشبع بروح الدكتاتورية البالغة فى التطرف ، وأن الصريع بينهما هى الديمقراطية على كل حال . وقد صار واجبا على الديمقراطيين أن يراجعوا أصول الديمقراطية من جديد ، حتى تتمشى مع ما يقتضيه هذا التطور السريع

* * *

والآن وقد انتهينا من استعراض الحركتين الفاشية والنازية وانتهينا بذلك من استعراض النهضات القومية فى أوروبا منذ العصور الوسطى إلى الآن ، نختم هذه المحاضرة بايراد بعض النتائج العامة التى نستخلصها من تطور هذه النهضات ، ونكتفى منها بثلاث :

النتيجة الأولى : هى أن رابطة الدين التى كانت تسود فى العصور الوسطى قد زال سلطانها فى العصور الحديثة . وقد انفصلت الكنيسة عن الدولة . ولا نعنى بذلك أن سلطان الدين قد زال من القلوب ، فان الانسانية لا غناء لها عن الدين مهما بلغ حظها من التقدم . ولكن عرش الدين مكانه القلوب والضمائر .

أما الروابط الاجتماعية فتتصل بالدين من جانبه الاجتماعى ، لا من جانبه الاعتقادى

والنتيجة الثانية هى أن الفرد فى أوروبا لم يتحرر إلا بعد أن تحرر المجموع . والديمقراطية التى حررت الفرد لم تقم إلا بعد أن تدعمت الوطنية التى حررت الأمم . وليس فى هذه النتيجة العملية خروج على المنطق ، ولا انحراف عن طبيعة الأشياء ، فالفرد جزء من المجموع ، فكيف يكون الجزء حراً إذا كان كان المجموع مقيداً فى ربقة الأسر ؟

والنتيجة الثالثة والأخيرة هى أن القوميات فى أوروبا عندما تكونت أسرفت فى التعصب ، وتطرفت فى الاستئثار . وتقهقر الجانب الايجابى من الوطنية ، وهو حب الانسان لوطنه أمام الجانب السلبى وهو بغضه للأوطان الأخرى ، وحل التعصب للدين ، فكان من ذلك أن هزت الحروب أركان أوروبا ، واندلعت نيران التعصب للوطن بعد أن نشأت الوطنية وترعرعت ضيقة هوجاء ، وأصبحت لا تتسع للاندماج فى روابط الجنس والدم . وتعانى أوروبا الآن من تقطع وشائج القرابة ما بين الأمم الأوروبية ما تقف أمامه عصبة الأمم عاجزة دون حول . فما كان أولى برابطة الوطن أن تتوثق فى ظل رابطة الجنس ! وما كان أولى برابطة الجنس أن تتوثق فى ظل رابطة أوسع ! وهكذا تدعم كل رابطة أختها ، فتحقن الدماء ويسود السلام ؟

عبد الرزاق احمد السنهورى


آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألمانى

« الطبعة الرابعة »

ترجمها الأستاذ أحمد حسن الزيات

وهى قصة عالية تعد بحق من آثار الفن الخالد

وثمنها ١٥ قرشاً